مقدمة

من عادة الكتاب فى الشئون العامة أن يستهلوا حديثهم بأن يصبغوا أحوال بلادهم بألوان سوداء قاتمة ، كى يتخذوا من ذلك وسيلة لإقدامهم على معالجتها ؛ وما كنت لأعدل عن هذه العادة لولا أن أحوالنا الحاضرة أضحت تنطق بنفسها عما نحن عليه ، وقد شُغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف فى النظام السياسى والقومى ، ومظاهر التفكك الاقتصادى والاجتماعى . وشاهدنا فى السنتين الأخيرتين على الأخص اهتماماً عظيماً بمشاكلنا الداخلية فى جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفى حديث الناس عامة ؛ وترجع هذه الظاهرة الجديدة فى حياتنا القومية ، على ما أظن ، إلى أنّا على أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا إلى عصر جديد فى تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومى أصبح الآن فى أيدينا ، وليس لأحد سوانا أن ينظّمه ويكوّنه . وقد غطّت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شئوننا الداخلية إلى حد ما ، وصرفتنا عنها بحيث خيل إلينا أنها على درجة من الرقى مقبولة ؛ وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشئون الخارجية إلى الشئون الداخلية ، فوجدناها فى منتهى الضعف والتقهقر .

وحالة مصر فى الحقيقة لا تدعو إلى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر فى الحياة القومية ، وأزمة محقّقة فى الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل فى القريب العاجل إلى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل

بخافية على أحد ؛ وقد أوجدت عند بعضنا شيئاً من التشاؤم فى المستقبل ، وانتشر القلق فى صفوف الشعب ، من فلاحين يشعرون به ولا يفهمون أسبابه ، إلى مثقّفين ومتعلّمين يرون الأخطار فى جلاء ويتوقعون تضخّمها فى السنوات القادمة . غير أن علامات الضعف والتفكك لا تظهر على صورة واحدة لكل منّا ، ولم نبحث وراء تلك الدلائل الخطيرة والعديدة عن الأسباب الأصلية التى عملت على تكوينها وظهورها . وكان لعدم تعوّدنا مواجهة تلك الشئون المعقّدة أن أخذنا ندرسها ونتناقش فيها منفصلاً بعضها عن بعض ، ولم نفطن إلى وحدة الحياة القومية وإن بدت مختلفة المظاهر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

زد على ذلك أن عدم الاستقرار السياسى والإدارى يجعل الوزارات التى تتوالى على كراسى الحكم غير قادرة على أن تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم ، وتواصل تنفيذه منسّقة بين مختلف التدابير الحكومية وغير الحكومية . حتى أن سرعة التقلب السياسى وكثرة المشاكل الوطنية وتعقّدها تبعد برجال السياسة والإدارة عن الأغراض البعيدة التى كان يجب عليهم ألّا يفارقوها أبداً ، وتجرهم نحو المجادلات الحزبية والمسائل الوقتية أو الثانوية ؛ فتظهر تلك المجادلات وهذه المسائل بمظهر هام جدًّا كلما قربت وضاق الوقت عن حلها ، مما يؤدى إلى قرارات غير محكمة وحلول غير كاملة ، فتبقى سياسة الدولة عديمة التواصل كثيرة التردّد والتقلّب .

وليس الغرض من هذا البحث أن ندرس جميع المسائل التى تواجه الدولة المصرية فى الوقت الحاضر ، ولا أن نستعرضها واحدة بعد أخرى ونقترح حلاً

وتدبيراً لكل منها ؛ بل الغرض أن نلقى نظرة إجمالية على كافة مظاهر النشاط القومى مع التدقيق فى العوامل الأساسية التى أدّت إلى تضخّم مشاكلنا ومصاعبنا ؛ ثم نرسم بعض الخطط العامة التى يحسن العمل على مقتضاها لمعالجة هذه الأخطار . وإلى جانب ذلك نبيّن حاجتنا الحيوية إلى الوحدة والتناسق والتواصل فى سياسة الحكومة لتكفل تقدّم الأمة سياسيًّا وقوميًّا ، وتضمن علاج ما يمكن علاجه من أحوالنا الاقتصادية والاجتماعية .

وإذا كانت سماء مصر ملبّدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألّا نرهب هـذا أو نخشاه ، ولنطمئن على كل حال إلى ما فى قلوب المصريين من عزم وشهامة وإخلاص فى خدمة الوطن . ولقد اتفق أول عهد مليكنا المحبوب مع شروق شمس الاستقلال الوطنى الذى قضى الشعب المصرى قروناً يتطلع إليه ، فأصبح عهد « فاروق الأول » حلقة اتصال بين مفاخر مصر القديمة وآمال مصر الحديثة ؛ والله نسأل أن يهدينا سبيل التقدم والفلاح .

القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٣٨